# خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٢/٠٤/٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

✡✡✡✡✡

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "لقد بُعثتُ ليعود من جديد زمنُ الصدق والإيمانِ ولكي تتولد التقوى في القلوب".

فعلى كل مسلم أحمدي -ينسب نفسه إلى جماعة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام- أن يجعل كلمات المسيح الموعود عليه السلام هذه نُصبَ عينيه كل حين وآن، وأن يتدبرها ويفكّر فيها، وأن يقضي حياته عملا بهذه التوجيهات، فعملُه هذا سيساعده على أداء حق البيعة، وإلا سيبقى مجرد ادعاء. فالصدق والإيمان

الذي كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يريد استعادهما أو كان الله سبحانه وتعالى قد بعثه ليعيدهما، وتتولد به التقوى في القلوب، لم يكن شيئا جديدا؛ لأنه كما يتبين من جملته "ليعودَ زمنُ الصدق والإيمان من جديد" أنّ هذا الصدق والإيمان كان موجودا في زمن ثم اختفى، وقد بُعث سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ليستعيده. إننا نعرف جميعا أن الصدق والإيمان والورع قد بلغ أوجَه في زمن سيدنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، حين أرسله الله سبحانه وتعالى إلى هذا العالم وقال له ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة ٤) فقد أعلن الله سبحانه وتعالى هذا حين تحققت كل هذه الخصال السامية، فلا يمكن لأي أحمدي أن يظن أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام جاء بأمر جديد، ولا يمكن أن يخطر ذلك على باله، لأنه عليه السلام كان سيُبعَث – بحسب نبوءة القرآن الكريم والنبيِّ صلى الله عليه وسلم – ليقيم في العالم من جديد ذلك الصدقَ والإيمان والتقوى الذي أحرزه رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه، والذي حُرم منه عامة المسلمين عقابا على أعمالهم، فقد ظهر عليه السلام تحقيقا لذلك. فحين نقول نحن الأحمديين إننا آمنّا بالمسيح الموعود عليه السلام، فعلينا أن نستعرض أعمالنا لنرى هل سعَيْنا أو نسعى لإحراز الإيمان الذي بيّنه القرآن الكريم وأحرزه الصحابة؟ وهل سعَيْنا أو نسعى لاكتساب ذلك الصدق الذي ولَّده كثير من المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأحدثوا في نفوسهم انقلابا؟ وهل سعَيْنا للتحلي بالتقوى التي نقرأ ذكْرها في سيرة الصحابة رضي الله عنهم؟ لقد كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد أحدث هذا الانقلاب في نفوس صحابته في حياته عليه السلام، وعندما أذكر صحابته عليه السلام في الخطب بين حين وآخر أتناول تلك الأحداث. يقول سيدنا

المسيح الموعود عليه السلام بعد جملة "لقد بُعثتُ لأستعيد زمن الصدق والإيمان وتنشأ التقوى في القلوب" ببضعة أسطر: "فهذه الأعمال هي الغاية المتوخّاة من بعثتي".. أي أن الهدف الحقيقي من بعثته ووُجوده هو إحراز هذه الأعمال. وقد وصف عليه السلام المؤمنين به في موضع بالغصون الخضراء لكيانه حيث خاطبهم قائلا: "أيتها الغصون الخضراء لشجرة كياني..."

والجدير بالذكر أن هذه الأعمال التي ذكَرها منوطة بغصونه الخضراء أيضا. فمن المستحيل أن تحمل بعضُ غصونِ الشجرة المثمرة الحلوةِ ثمارا سامَّة، ولا يمكن أن تجفّ وتبقى جزءا من الشجرة، إذ من المعلوم أن صاحب الشجرة لا يترك الغصون اليابسة بل سرعان ما يقطعها. فعلينا أن نخاف كثيرا وأن نتذكر دوما ما هي المسؤوليات التي تقع على عواتقنا بعد البيعة، فعندما أسمع تفاصيل بيعة الذين ينضمون إلى الجماعة حديثا أو أقرأها في الرسائل فأنا الآخر أزداد إيمانا، غير أنني حين أطلع على الضعف يدبّ في بعض الذين كان أجدادهم أحمديين وفينا الكثيرون من هذا القبيل، فأحزن وأتألم، لعدم اهتمامهم -كما ينبغي- بالعمل بتعاليم الإسلام بحسب أمنية سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. إن الكسل والتقاعس ينشأ أحيانا عند بعض المولودين أحمديين، فيجب على كلٍّ منا أن يحاسب نفسه ويستعرض أوضاعه ويفحص وينتبه إذا كان الكسل والتهاون يدفعه إلى حيث تنسدّ طريق العودة، لا سمح الله، أو نبقى أحمديين بالاسم فقط، فقد لفت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام انتباهنا مرارا في كتبه ومواعظه الشفوية، أن الروح الحقيقية للأحمدية لن تتولد فينا إلا إذا بقينا نحاسب أنفسنا على الدوام، ولم يبق أي تناقض بين أقوالنا وأعمالنا، فكان

عليه السلام يتطلع إلى الفرْق البيِّن بيننا وغيرِنا، فقد قال مرة: "لقد قلت مرارا وتكرارا إن عامة المسلمين يشاركوننا في الاسم في الظاهر، فأنتم مسلمون وهم أيضا يَتَسَمَّوْن مسلمين، أنتم تنطقون بالشهادتين وهم أيضا ينطقون بهما، أنتم تدّعون اتباع القرآن الكريم، وهم أيضا يدّعون ذلك، فباختصار أنتم وهُم سيّان في الدعاوى، غير أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى بالادعاءات فقط، ما لم تكن مقرونة بالحقيقة، وما لم يصدّقْها شيء من الأعمال وما لم تلاحَظ شواهدُ التغيير في السلوك، (*أي يجب أن يظهر التغير في الأعمال تصديقا للدعوى، وهذا التغير ينبغي أن يشكِّل برهانا على أنه صادق في دعواه*). ثم قال عليه السلام: لهذا فإن هذا الحزن يسبب لي في أغلب الأحيان صدمةً كبيرة.

فقد قال عليه السلام إن الله سبحانه وتعالى لا يرضى بمجرد الدعاوى فقط دون أن تقترن بها الحقيقة وما لم تظهر شواهد التغير العملي، ولهذا فإنني أصاب في أغلب الأحيان بصدمة كبيرة بسبب هذا الحزن.

فالمسيح الموعود عليه السلام يريد منا الشواهد العمليّة، فإذا استعرضنا أوضاعنا استطعنا محاسبة أنفسنا بشكل أفضل، إذ إنّ من طبع الإنسان أنه إذا نبّهه غيرُه على أخطائه، ينـــزعج ويتذمر أحيانا، أو إذا نصحه أحد فيكون أنانيا أحيانا، فمن متطلبات هذه المحاسبة الشخصية أن يضع الإنسان في الحسبان دوما أن الله سبحانه وتعالى يراه كل لحظة، وأنه قد عقد عهد البيعة ومن واجبه الوفاء به، وإذا قام بكل هذه الأمور قدَرَ على محاسبته بشكل أفضل، فالأحمدي مهما كان ضعيفا يبقى فيه رمقُ البر والصلاح، وحيثما نشأ لديه الإحساس يتولد لديه الاهتمام بالحسنات فتظهر منه الحسنات، فكل واحد بحاجة إلى الحفاظ على هذا الرمق

الإيماني بماء الأعمال، وريّه وإزهاره، فهناك حاجة للشعور بألم المسيح الموعود عليه السلام، فالذين ينشأ لديهم هذا الشعور تتغير حالتهم فورا، فيبدأ الغصن اليابس بالاخضرار بسرعة. كثيرون يكتبون إليّ الرسائل الفياضة بهذا الألم واللوعة أن يظهر فيهم التغيرُ الذي كان يريد المسيح الموعود عليه السلام رؤيته في أبناء جماعته. فكل من يسعى لتنشيط هذا الإحساس، ويستعين بالله سبحانه وتعالى فإن الله سبحانه وتعالى الذي يحب عبده أكثر من الأم الرؤوم يهرول إلى القادم إليه ويضمه إلى صدره، فينقلب وضعُهم رأسا على عقب. لقد أتاح الله سبحانه وتعالى لنا فرصة ذهبية لتحسين دنيانا وعقبانا وإن لم نغتنمها كما يجب فهي من شقاوتنا، فقد أعرب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن ألمه وحزنه وصدمته في زمن كان صحابته الذين كسبوا منه الفيض مباشرة موجودين، الذين حين نسمع عن معاييرهم الرائعة في الروحانية والورع أو نقرأ أحوالهم في الكتب نغبطهم على الانقلاب العظيم الذي أحدثوا في نفوسهم. ومع ذلك لاحِظوا الألم الذي أعرب عنه سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام، وانظروا إلى معايير التقوى التي كان عليه السلام يحب أن يحرزها أتباعُه، ففي ذلك الزمن قال حضرته: إنني أُصابُ بصدمة كبيرة عندما ألاحظ الضعف في البعض. فلْنفكر في أننا كم مِن صدمة للمسيح الموعود عليه السلام نسبِّب بضعفنا، صحيح أنه عليه السلام ليس موجودا فينا بجسمه، غير أنه من المحتمل أن الله سبحانه وتعالى يُطلعه على أوضاعنا وما آلت إليه حالة سلالة بعض الصحابة أو الصلحاءِ أو أقارِبهم.

إن الذين هجروا المجتمع السيئ في زمن المسيح الموعود عليه السلام ابتغاء وجه الله تاركين الدنيا ومغرياتها، وقضوا حياتهم متمسكين بذيله عليه السلام متعهدين أن

يؤثروا الدين على الدنيا على الدوام، قد تضاءل اهتمامُ أولادِ بعضٍ منهم بالدين، ومما يؤسف له أنهم لا يبالون بذلك ولا ينتبهون إليه. فيجب علينا أن نقرأ أحوال كبارنا ونطّلع عليها بنيّة أن يكون أمامَنا هدفٌ لتحسين أوضاعنا الروحانية، ينبغي أن نتدبر شتى الجوانب من حياتهم، يجب أن نعرف كيف بايَعوا وما هي الأسباب التي أقنعتْهم بالبيعة، عندئذ سنكون متوجهين إلى غاية معينة، ومحققين لأمنياتهم.

لقد قابلني قبل بضعة أيام السيد عبدِ المغني خان وهو ابنُ أحد الصلحاء الأحمديين القدامى، وأخبرَني أنه حين نال والده شهادة البكالوريوس في الكيمياء من جامعة عليجره، - وفي ذلك الزمن كان قليل من الطلاب المسلمين يدرسون العلوم - فقال له نائب رئيس الجامعة: إنك اخترت مادة جيدة وحققتَ فيها النجاح بامتياز وبناء على ذلك نعرض عليك العمل في الجامعة حيث يمكنك أن تعمل وتتابع الدراسة معا. وكان والدُه (جدُّ الراوي) هو الآخر كان قد شفع له عند أحد المسؤولين الإنجليز أيضا، حيث كانت الحكومة الإنجليزية في الهند، فقد عرض عليه هو الآخر وظيفة مغرية، ثم اقترح عليه أحد المعارف نظرا إلى جدارته وكفاءته العالية أن يتقدم لامتحان معين لينال الوظيفة الحكومية المرموقة براتب عالٍ. وكان والده المحترم قد جاء إلى قاديان في تلك الأيام، في عهد الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام، فقابلَ حضرتَه وطرح عليه القضية كلها لتلقّي التوجيه منه قائلا: يا سيدي أنا لا أريد أن أنشغل في الأمور الدنيوية، وإنما أحب أن أقيم في قاديان، فلو عُهدت إليَّ خدمةُ كنس أزقة قاديان لفضّلتُها على كل هذه المناصب الدنيوية المرموقة.

نعم، كان هناك أمثال هؤلاء الصلحاء الذين نالوا الفيض من الصحابة. فقد عُين في المدرسة أستاذا للعلوم بقاديان، وبعد ذلك عُين ناظرا لبيت المال وأغلب الظن أنه كان أول ناظر لبيت المال.

باختصار كان الصلحاء الأسلاف ولا سيما صحابة المسيح الموعود عليه السلام منهم سباقين في إحراز الحسنات، غير أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حين كان يلاحظ الضعف من بعضهم يقول إنني أُصاب بصدمة قلبية.

فنحن بأمس حاجة إلى استعراض أوضاعنا، فلو فكّرنا مَن هم أجدادنا وما هي التغييرات الطاهرة التي أحدَثوها في نفوسهم بعد الانضمام إلى الأحمدية، وتأمّلنا في هذا الأمر وتعهدنا أننا لن نتسبب في تشويه سمعة آبائنا، فطريق إصلاح النفس هذا، أدعَى إلى رفع مستوى تقوانا وأكثر ترغيبًا لنا في فعل الخيرات. إنما علامة الأمم الحية الخالدة أن أبناءها القدامى يحافظون على مُثلهم العليا، ويتُوقون باستمرار للأفضل فالأفضل، ويتطلعون إلى الأرفع فالأرفع، كما أن الجدد أيضًا ينضمون إلى جماعتهم بحماس شديد، وعندما يرون أسمى مستويات الصلاح فيمن سبقهم في الإيمان يزدادون حماسًا للتسابق في الخيرات، وهكذا لا يزال مستوى الصلاح يرتفع في الأمة باستمرار.

باختصار، ما دمنا ندّعي أننا سنغيّر ما بأنفسنا ببركة الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام وسنحدث في العالم ثورة، فلا بد لنا لتحقيق هذا الهدف مِن محاسبة أنفسنا دومًا، وليس هذا فحسب بل علينا مراقبة أهلينا وأولادنا أيضًا. لقد كتب المسيح الموعود عليه السلام:

أن المرأة أكثرُ اطلاعًا على حالة زوجها وعلى نوعية أقواله وأفعاله. وإذا كان الزوج صالحًا صارت زوجته أيضا صالحة، وإلا فإنها ستُرِيه مرآة حاله قائلة: أَصْلِحْ نفسك قبل أن تحاول إصلاحي.

إذنْ، لا بد للرجال من إصلاح أنفسهم قبل إصلاح النساء. واعلموا دائمًا أن في إصلاح النساء ضمانًا لإصلاح الأجيال الآتية أيضًا، فمِن أجل إحداث تغييرات طيبة في الأجيال القادمة واعتصامها بالدين بقوة، على الرجال أن يهتمّوا بإصلاح أنفسهم أكثرَ، ذلك أن القدوة الحسنة من قِبل الرجل والمرأة، والزوجِ والزوجة، والأبِ والأم ستذكّر الأولاد دومًا أن غاية خلقهم ليس التكالب على الدنيا، بل الفوز برضا الله تعالى.

وأود هنا توضيح أمر، وهو أنه يجب ألا يظن أحدكم أن صحابة المسيح الموعود عليه السلام كانوا مصابين بعيوب كثيرة، أو أن أكثرهم مصابون بها، مما اضطره عليه السلام لأن يقول هذا! كلا، بل كما قلت مِن قبل يبدو أن بعضهم لم يكن بالمستوى المطلوب عند حضرته عليه السلام، ومع ذلك كان يريد أن يتخلص هؤلاء البعض أيضا من الضعف. والدليل على ذلك أنه في نفس المناسبة التي قال فيها حضرته عليه السلام أنه يُصدم برؤية هذا الوضع، قال أيضًا: إننا نرى أن هذه الجماعة قد تقدمت في الإخلاص والحب تقدمًا عظيمًا، حتى إنني أصاب أحيانًا بالحيرة والدهشة برؤية إخلاصهم وحبّهم وحماسهم الإيماني. فلا شك أن المتحلين بالحماس الإيماني كانوا كثيرين في جماعته، بل كانوا يشكّلون الأكثرية فيها، بل يجب أن أقول كان الجميع متحلين بهذا الحماس مقارنةً

بحالنا، ولكن قال ذلك حضرته عليه السلام لأن كل نبي يريد أن يرى في جماعته أعلى مستويات الإخلاص والإيمان.

إن هذا العهد الذي نعيشه لهو امتداد لعهد المسيح الموعود عليه السلام فهناك كثير من النبوءات والوعود التي قطعها الله تعالى مع المسيح الموعود عليه السلام ستتحقق في زمننا هذا أيضا. فلو أردنا أن نرى تحقق هذه الوعود في حياتنا في القريب العاجل فلا بد من النظر إلى مستويات صدقنا وإيماننا وتقوانا. فإذا كنا على أمل ليظهر الله تعالى لنا تحقق رقي الجماعة فلا بد أن نسعى لابتغاء رضاه حتى نصبح مؤهلين لرؤية ازدهار الجماعة. هناك كثير من أفراد الجماعة في هذا العصر أيضا حققوا مستويات راقية في الإخلاص والتفاني ولا يزالون ينفخون هذه الروح في الأجيال القادمة. لقد قلتُ مرة عن الشباب من منظمة مجلس خدام الأحمدية أو عن رجال من مؤسسة أنصار الله – الذين ظهر منهم التعب أو شيء من الملل بسبب قيامهم بالحراسة لفترات طويلة بعد حادثة الاستشهاد في لاهور – قلت عنهم: يجب على نظام الجماعة الانتباه إلى هذه الحالة واتخاذ الطرق المناسبة لتدارك هذا الوضع، فأوصل رئيس مجلس خدام الأحمدية بباكستان هذا الخبر إلى الشباب الأحمديين فتوالت عليَّ رسائل مفعمة بالإخلاص والوفاء قال بعضهم فيها: نريد أن نجدد معك عهد البيعة. لم نتعب في الماضي ولن ندع مثل هذا الفكر يقربنا في المستقبل أيضا ولن يكون أداء واجب الحراسة ثقلا علينا أبدًا. كذلك وصلتني رسائل من السيدات أن إخوتهن أو أزواجهن أو أبناءهن يتوجهون لأداء واجب الحراسة فورَ عودتهم من أعمالهم، وأنهن يودعنهم بطيب الخاطر ولا يشعرن بالخوف في غيابهم.

فمثل هذا الإخلاص والوفاء ينمّ عن الحماس الإيماني الذي وصفه المسيح الموعود عليه السلام.

يجب أن لا تنسوا الله تعالى أثناء أدائكم واجب الحراسة، فعليكم أداء الصلوات في وقتها وعليكم أن ترطبوا ألسنتكم بذكر الله والأدعية أثناء ذلك. إن مصدر قواتنا هو إلهنا، لا نتلقى ما نتلقاه من عون إلا من الله تعالى، أما مساعينا فهي زهيدة ومتواضعة جدًّا نقوم بها عملاً بأمره سبحانه وتعالى، فلن يحدث شيء بجهودنا إلا ما يفعله الله تعالى بنفسه، فلو تشبثنا بالله تعالى لانتقم بنفسه من الأعداء أو كفّ أيديهم عنا. فلا تهنوا ولا تتكاسلوا في الدعوات. فلو ظهر في أعمالكم وشخصيتكم أثر لهذه العبادات والدعوات وذكرِ الله تعالى لاستطعنا القول بأننا أحرزنا ذلك المستوى الذي حدده المسيح الموعود عليه السلام لنا. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل ١٢٩).. أي أن المتقين والملتزمين بالعفة والطهارة يكونون في حماية الله تعالى، إنهم يخشون من الوقوع في معصية الله في كل حين وآن ويخافون ربهم."

فإن التقوى ومخافة الله تعالى تحرسان العبد وتخلّصانه من المخاوف الدنيوية. فينبغي أن لا يخاف الأحمدي إلا من سخط الله تعالى.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد قال اللهُ تعالى مخاطبا إيَّايَ أن أُخبِر جماعتي بأن الذين يؤمنون إيمانا لا تشوبُهُ شائِبَةٌ من الدنيا، وليس ذلك الإيمان مُلوَّثا بالنفاق أو الجُبنِ وليس خاليًا

من الطاعة، فأولئك هم المَرْضِيُّون عند الله تعالى. ويقول الله تعالى إنهم هم الذين قدمُهم قدمُ صِدْقٍ." (كتيب الوصية).

فهذا هو معيار الإيمان الذي يريد المسيح الموعود عليه السلام أن يراه فينا. وفقنا الله تعالى للارتقاء إلى هذه الدرجة السامية.

ذُكِرت الطاعةُ أيضا في المقتبس الأخير، وأريد أن أتكلم شيئا عنها ههنا أيضا. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "يجب ألا يكون المؤمن محرومًا من أية درجة من درجات الطاعة." فإن الطاعة درجات أو أنواع ومستويات، منها طاعة أوامر الله تعالى، وطاعة نظام الجماعة وغيرها. إضافة إلى ذلك فهناك كثير من الأمور التي يفكر بها الإنسان ولا بد من الطاعة فيها، فإن الطاعة أمر أساس في ضمّ جميع العناصر إلى نظام واحد، وهي الطريقة المثلى للتقيد بالنظام بشكل كامل، وهي ما يجعل العبد مسلمًا ومطيعًا لربه. فلو تمسكنا بهذا الأصل فسنرى أن خطواتنا تتقدم نحو الأمام على الدوام. نرى مثالاً أعلى للطاعة أو معراجًا لها في تاريخ الجماعة وهو مثال الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام، كان في عيادته لما وصلتْه برقية المسيح الموعود عليه السلام تقول: تعال إليّ فورًا، فغادر على الفور. لم يدعُه المسيح الموعود عليه السلام من المدينة نفسها بل كان المسيح الموعود عليه السلام في دلهي وهو في قاديان، فأرسل الخليفة الأول رضي الله عنه رسالة إلى أهله أخبرهم فيها عن مغادرته، ولكن لم يأخذ معه زادًا ولا نقودًا لنفقة السفر ولا ثيابًا ولا حقيبةً أو متاعًا وغيره، ووصل مباشرة إلى محطة القطار ولكن القطار كان متأخرًا، وبينما كان ينتظر قابله أحد معارفه الأثرياء والتمس منه أن يفحص مريضًا من عائلته، فذهب حضرته لفحص المريض وتلقى كشفيةً كفتْه

لنفقة سفره. وهكذا هيأ الله تعالى كل ما كان يلزمه، فحضر إلى سيّده، فلما وصل عرف أن المسيح الموعود عليه السلام لم يقل له أن يأتي فورًا بل هو خطأ الكاتب الذي كتب ذلك في البرقية، فلم يرفع الخليفة الأول أية شكوى و لم يتكلم عن أحوال سفره و لم يقل بأن الاستعجال أرهقه، بل ظل جالسًا هناك فرحًا مسرورًا.

فهذه هي الدرجة السامية من الطاعة التي يبدو فيها كل فكر أو عمل بلا معنى أمام الائتمار بالأوامر. ثم لاحظوا معاملة الله تعالى إياه؛ إذ هيأ له كل ما كانه يحتاج إليه. ولقد قال الله تعالى عن مثل هؤلاء الصلحاء أنهم مَرْضِيّون عنده، فهذه أسوة لنا أيضا.

ثم في نظام الجماعة لا بد من الطاعة بدءًا من أصغر المسؤولين ووصولا إلى الخليفة، وفي الحقيقة هي حلقة من حلقات طاعة الله ورسوله وفق ما قال النبي ﷺ: "من أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله". فلا بد لنجاح نظام الجماعة أن تبدأ الطاعة من أدنى مستوياته. لا بد لجماعة أو مؤسسة أو لحكومة أن يكون لها نظام محكم وإلا فلا يمكن تدبير أمورها. إن الحكومات الدنيوية سنّت القوانين للالتزام بالقواعد والنظم التي وضعتها وتمارس القوة لتنفيذها، أما في النظام الروحاني فإن الإخلاص والوفاء وابتغاء مرضاة الله لهي مقومات الطاعة. لذلك فقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "قال الله تعالى إن الذين يطيعونني في جميع درجات الطاعة فهم المرضيون عندي."

فمن يطيع نظام الجماعة بدءا من مستوياته الصغيرة ووصولا إلى أعلاها فهم الذين يبتغون رضا الله تعالى. لقد وعد الله تعالى الجماعة الإسلامية الأحمدية

بالخلافة، وهي المثال الوحيد لتحقق وعد الخلافة مع المؤمنين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. ولكن الله تعالى يقول في الآية التي سبقت آية الاستخلاف: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(النور ٥٤)، وهنا لفت الله الانتباه إلى طاعة هي طاعة المؤمنين، وأخبرنا كيف يطيع المؤمنون، إذ إنهم يقولون عند سماعهم أي أمر: سمعنا وأطعنا، أي من واجبنا الطاعة سواء كانت على مكرهنا أو منشطنا، فهذا هو المستوى الأعلى للطاعة الذي يجب أن يتحلى به كل مؤمن. وقال تعالى إذا كنتم مؤمنين فلا تقسموا بل عليكم بالطاعة المعروفة فحسب. نعاهد واقفين بأن نلتزم بكل ما يأمرنا به الخليفة أو يقرر من معروف ولكننا نماطل عند صدور القرارات ولا نقبلها بطيب الخاطر!! يقول الله تعالى إن المؤمن الحقيقي لا يُقسم فقط بلسانه بل يظهر الطاعة بالأعمال في جميع الأحوال.

أوضِّح بهذه المناسبة – وكنت قد شرحت لكم سابقا أيضا – أن الكلمات الواردة هنا هي الطاعة في المعروف، فاعلموا أنه لا يصدر من الخلافة الأحمدية أمر مخالف للأحكام الإلهية، ويعني القرار المعروف ما يكون موافقًا للشريعة، فإذا كان كل أحمدي على يقين من أن هذه الخلافة هي الخلافة على منهاج النبوة فلا بد أن يوقن أنه لن يتلقى أي أمر غير شرعي من هذه الخلافة. كذلك ما دام نظام الجماعة يجري تحت إشراف الخلافة فلا يمكن أن يأمركم هذا النظام أيضا بأمر غير شرعي، ولو صدر منه مثل هذا الأمر خطأ أو لسبب آخر فإن الخليفة سيصلحه. فبالإضافة إلى الدعاء لاستحكام نظام الخلافة يجب

على الأحمدي أن يدعو لنفسه أيضا ليضرب مثالا أعلى للطاعة وبالتالي يصبح مرضيًا عند الله ومتشبثًا بنعمة الخلافة ولا يحرم من هذه الهداية التي ارتبط بها.

بعض الناس يظهرون عدم ثقتهم في نظام الجماعة لأغراضهم الشخصية وبالتالي يحرَمون من هذه النعمة التي أنزلها الله تعالى بعد أربعة عشر قرنا. مثلا هناك نظام القضاء يجري تحت إشراف نظام الجماعة وهو بمنـــزلة نظام الحَكَم أو المُصلح فحسب، ونظرًا لبعض الصعوبات القانونية يُطلب إقرارٌ خطي من الطرفين بأنهما قد توجها إلى دار القضاء للفصل في قضيتهما بطيب الخاطر ويرضيان بقراره ولن يعترضا عليه، فلما يطلب من الطرفين كتابة هذه الكلمات ينكر بعضهم ويسيئون الظن بأنه قد يصدر القرار ضدنا فلن نقبله، وبالتالي لن نقدّم تعهدًا خطيا. فقد أساءوا الظن من البداية، ولا يستهدفون إلا المماطلة وإطالة القضية بحيث تمضي فترة قبل صدور القرار وخططوا أنهم لن يقبلوا هذا القرار بل سيتوجهون إلى محاكم حكومية. ولكنهم لما يرفضون قرار الجماعة ويتوجهون إلى المحاكم الدنيوية، ويجابهون فيها قرارًا غير مرض أيضا فيحاولون رفع قضاياهم في دار القضاء مرة ثانية، ولكن الجماعة في هذه الحالة لا تقبل قضاياهم لأنهم خرجوا من الطاعة أول مرة و لم يثِقوا في نظام الجماعة. والنتيجة هي أن الله تعالى يقول عنهم بأنهم خارجون عن الطاعة وبالتالي غير مرضيين عندي، ولما يصبح أحد غير مرضيّ عند الله تعالى فلا يسعه الاستفاضة من بركات الله تعالى التي أنعمها على الجماعة وإن ظل عضوًا فيها في الظاهر. فإن الأمور الصغيرة في الظاهر أحيانًا تؤدي إلى إساء الظن بسبب أنانية البعض وفي النهاية تحرم صاحبها من أفضال الله تعالى. فعلى كل أحمدي

بذلَ قصارى جهوده ليصبح مرضيّا عند الله تعالى، فإن ذلك يضمن الحياة الروحانية لذرياتنا.

وبهذه المناسبة أقول للمسؤولين أيضا أنهم لا يكونون ممثلين حقيقين للخلافة ما لم يحققوا مقتضيات العدل خاشعين لله تعالى. فلو تعثر أحد بسبب تقصير أو خطأ أحد المسؤولين في الجماعة فكأنه لم يؤد حق الأمانة الموكلة إليه من الله تعالى، فإنه مذنب ويتحمل وزرًا لأنه من خلال خطئه أو تقصيره أو تعمّده سَبَّبَ العثار لأحد، وبالتالي لم يؤد حق الأمانة. فعلى كل أحمدي أن يحرص على الالتزام بالصدق والتقوى من أجل الحفاظ على إيمانه وعهد بيعته ولكي يحقق في نفسه الهدف من بعثة المسيح الموعود عليه السلام. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"لا أفرح بكثرة أفراد الجماعة، إذ لا تعني الجماعة الحقيقة أنهم بايعوا يدًا بيد فحسب، بل لا تصبح الجماعة جماعةً حقيقيةً ما لم تتقيد بحقيقة البيعة، وما لم يُحدث المبايعون حقيقةً تغيرًا طاهرًا في نفوسهم فتتنــزّه حياتُهم من الإثم وشوائبه، ويتخلصوا من ربقة الشيطان ويتفانوا في رضا الرحمان، ويؤدوا بشكل كامل حقوق الله وحقوق العباد، وتتولد في داخلهم لوعة من أجل الدين وتبليغه ويقضوا على أهوائهم ورغباتهم ويصبحوا عبادًا لربهم...

إن المتقين هم الذين يتخلون - خاشعين لله - عن أمور تخالف رضاه ومشيئته. فإن النفس وأهواءها والدنيا وما فيها ليست بشيء بحذاء الله تعالى."

وفقنا الله تعالى جميعًا لنقضي حياتنا وفق ما أراده المسيح الموعود عليه السلام. آمين.